

الحصّة المصرية من السريالية: سرّاً ينفُضُ

ترجمة
وتقديم
رشيد وختي

لأسباب أهمّها نزعة مركزية عربيّة - إسلاميّة. أهمل تاريخ الأدب العربي وحركيّة الترجمة جزءاً أساسياً من الإنتاج الشعري الحديث. كان الفاعل فيه أحراراً يمتزجونه الهامشيّة: لا عقلانيّة إزاء العقل. يساريّة تروتسكيّة إزاء الناصريّة. تحرّز ينظر له بعين الريبة لصدوره عن ذوات تنتمي لافلّيات دينيّة (قبطيّة ويهوديّة في غالبيّتها) أو مجنّسين (أعطوا لمدينة الإسكندرية طابعاً كوسموبوليتياً).

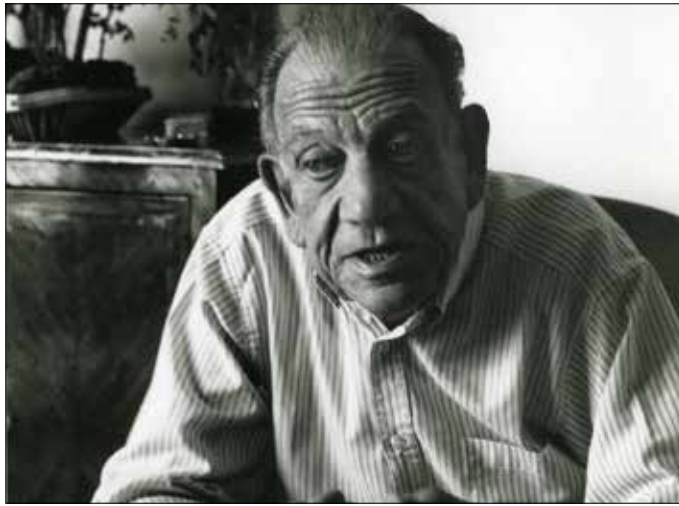
إزاء ثقافة أحاديّة. زد على ذلك أنّ السريالية أكثر من كلّ جديد آخر. واجهتْ بصدامتها حتّى الوسط الثقافي الذي عايشته بشقّه المنفتح والمحافظ.

■ ■ ■
وقم اختيارنا. في هذه المنتخبات. على الأسماء الثلاثة الأهمّ تمثيلاً للسريالية في حصّتها المصريّة. كانوا في صلب الحركة أو ثنائقها ومعهما (قراءة عاشقة وترجمة وصدقات فكريّة). إجمالاً. وفق مقولة شهيرة: "سأد سرياليّ في الساديّة. هيغو سرياليّ عندما لا يكون بليداً. تو سرياليّ في المغامرة. رامبو سرياليّ في ممارسة الحياة وخارجها. سان- جونّ برش سرياليّ على مسافة". (أندري بروتون. بيان السريالية. 1924). يسحقنا القول. على نفس المنوال: إدمون جابس سرياليّ في توليفاته الشذريّة. جورج حنينّ سرياليّ في وجوديّة. جويس منصور سرياليّة في هوسها الجنسيّ.

■ إدمون جابس من مواليد القاهرة 1912 لاسرة أرستقراطيّة. يضطرّ في 1957 إلى مغادرة مصر. بسبب أصوله اليهوديّة. نحو باريس. كان مقرّباً من السرياليين. إلا أنه رفض الانضمام لحركتهم. لكنّ قصيدته مكتوبة في صميم السريالية. بشلالات صورها الضجائية. يتميّز شعر جابس أسلوبياً بالصنعة والوجازة. عبر شذرات تحاول احتضان أشياء العالم. مثل صديقه موريس بلانشو. يحيي

■ ■ ■
كثيرة لكيوم آبولينيز. اختارت الحركة الناشئة من رحم الحرب العالميّة أن تتخذ لها السريالية اسماً. كان شاعرنا قد توفي في 1918. موقفاً قبل ذلك بقليل مسرحيّة نديا تيريزياس مع تجنيسها باعتبارها "دراهما سرياليّة". ويعرّفها أندري بروتون. في محاكاة ساخرة للغة المعاجم. في بيان السريالية (1924). كما يلي: "سريالية. اسم موقن. آليّة نفسيّة خالصة يترجم التعبير بها. شفاهاً. أو كتابةً. أو بايّة طريقة أخرى. عن الاشتغال الواقعيّ للفكر. إملاء الفكر. في غياب كلّ مراعيّة ممارسة من طرف العقل. خارج كلّ انشغال جماليّ أو أخلاقيّ". هكذا استنصر السرياليون كافة أشكال الكتابة التي سبوا بها أغوار اللاوعي: الكتابة

1. إدمون جابس: الحبر يروي ظمأ الأرض



حمرًا: إنها الشَّمْس. ولا أن نقول. ما دامت بعيداً، إنها تزهر في الحديقة. [أغاني لوجبة الغول، 1943-1945]

أغنية صغيرة لاشطورة حبّ
توقف الفارس الجميل عند الفسقية وعب من فاه الأميرة المغمورة. أيتها الجنّيات الطيبات أهرغن! لم يعد للحجر المغدور نفس. لا ماء لكي تكون مخبوبة. ولكنّ ثمة فراش مخزّمش وخفان. من فوقه. [أغاني لوجبة الغول، 1943-1945]

أغنية لصديقة شقيّة
هذا الصّباح. استيقظت العصفير قبل الشّجرة. أطلق شبح كان ماراً صغيراً. سمعته الشّجرة وتمطّت. حطت العصفير. بعد ذلك. فوق كلّ فكرة. كما تحط النّحلة الشّرة فوق النّهار. العصفير. الشّبح والماء الثقيل؛ فسمة سحبت عن طريق القرعة. كنا عسرة تحت الشّجرة نقشر اللوز. كان الموتى ميثوثين في الطريق. مشمرة الأكام حتى المرفقين. بطواط. كانت ثمة امرأة تدفن الحبّ.

أغنية لبقطة ورفاد اغنيبي
لاغنيبي المستيقظة باكراً جداً. فتاة صغيرة سقطت من السماء لمرات عديدة وقد تماهت مع الصّباح. لا تدري إلى أين هي ذاهبة. النّحلة تدهشها والرّمور تتمكّ خطاها. الرّيح تهبّ في يدها. منتزعة من الشّمس. تتماهى مع الليل لمرات عديدة فتاة صغيرة مكلّلة بالعصافير. ثمة بقع دم تقتفي آثارها وكثير من الصّرخات في نظرتها. من أجل أغنيبي التي رقدت في وقت متأخّر. [أغاني لوجبة الغول، 1943-1945]

أغنية صغيرة للماء الشفاف
يقطف النّجمة عملاق. له يدان مخروقتان. يضطاد النّجمة قزّم. يده مثلجتان. يديران الظهر لبعضهما البعض حتى الصّباح؛ لأنّ أحدهما يُشعل الماء عندما يطفئه الآخر. [أغاني لوجبة الغول، 1943-1945]

أغنية صغيرة للأغنية الإبدية
لم يعد القصر العتيق مائلاً إلا بفضل يد المنشد الجوال. على الكمنجة. تعزف أغنيبي الأثيرة. لا تخشي. أيتها الأميرة السريّة. النهار. تتربص بيقظتك وردة

من شكل. بسرعة. أطبقي عينيّك. فالغول لا يلتهم من كانوا مستغرقين في السّبات. [أغاني لوجبة الغول، 1943-1945]

أغنية صغيرة لفاثح نيسان من خالده نافذة
تضحك الفتيات عند النوافذ لإذلال المروج. تدوير أركان الأشجار. فك زمامات الجبال. تغني الفتيات عند النوافذ لوشم الليل. رش البحر بالمساحيق. إلهاب النّملة. تبكي الفتيات عند النوافذ لإغراق المطر. [أغاني لوجبة الغول، 1943-1945]

الفنديك
نخل بصخب العوذة حيث تستسلم كلّ زهرة الفجر ينفخ سرّاً بتلات القناديل الأخيرة (وسط الظلال، 1955).

مسألة مبنوشة
دون جدوى. تدفين البيد في الليل الوردي لجسدك. أيتها الفتاة الصّغيرة. أيتها الفتاة الصّغيرة. أية غيمة ستعلمك هذا؟ الدم لا يغسل الدم. [الذاكرة واليد، 1974-1980]

سمكة في الرّحيل. عندما يرغب سرطان البحر في أن يتوجد وعندما ترغب أغنيبي أن تنشد... [أغاني لوجبة الغول، 1943-1945]

أغنية لجفنيك المطبقين
كبد مغلق. يفرغ الغول ما حوله. يخيم بالليل على ما حوله. لم يعد لليل المستهلك

[أغاني لوجبة الغول، 1943-1945]

أغنية لخيبة البحر
عندما تغادر سمكة مسقط رأسها. مقتاتة للنجوم؛ عندما يبحث سرطان البحر وجهه. خارج الرّؤل. مفتوناً بالغيّات؛ يحدث للبحر أن يتشقّق وللريح أن تنهك في سبيل معالجته. عندما ترغب

لنتبين أن الجوهر في الأمور هو أن نحفظ الأشياء التي لم نعد نرغب فيها. [العلامة الأشدّ إغتاماً، 1977]. شفاهاً مرتبطة. شفاهاً مرتبطة بقدر كلمات بالغة القدم نحن على تخوم هاته الفضاءات الفسيحة البيضاء حيث يبقى الإنسان على قيد الحياة بعد الحياة. وحيث يتخلص ماء العناقات من تجاعيده ويحفر له بيتاً [العلامة الأشدّ إغتاماً، 1977].

الهيئة
لم يعد الواجب والتّمكك يقرآن في البلور المجنون للمعابد للخطّة فقط

كاستراحة في بلد فاتر ضوء السيارة الذي يقبض في بؤبؤه إتجاه الليل متفتّنة ككمشة أيد بين كائنين بلا مستقبل صلبة كبد العالم وجه مغلق يرى مرّة في الحياة عبر الضغط على الرّناد [الأم متوائم، 1949].

الشرك
القدر فهذه شهبانني واللحظة حيث بهم بنا تتخذ - في المشخرة الليلية الهائلة - طعم تهتك مسلّم فينبج ضياء المكان

غامضة. كلّ من يتنفّس يتهم إذآك نفسه. طفلة تقفن بالحبل فوق بلاط. وعندما لم يطق هذه اللعبة. صعد شخص ما وقطع الحبل. وأصلت البنت القفز. قالت: «أنا في منطقة الأمرئي» كائن للمراقبة عن قزب. ربّما - إن لزم - صديقة.. كيف لنا أن لا نبقي حالمين عندما ننظر لأشباهاً ملياً؛ واحد يطلب بم سيكتب. آخر يتراجع أمام حركة بارعة. ساعة الإغلاق نجد أنفسنا في نفس النّقطة. [الأم متوائم، 1949].

المرأة الداخليّة
جميلة كالصاعقة واقفة وسط السماء لانتقاء شجرتها مجهولة دانية بحيث تخيف مريحة رغم ذلك

2. جورج حنين: حياة قابلة للإيواء

الكفاية؟ ولم لا نفرج جفون الطرق اللعينة لنختفي في اللبلة الأكثر عقادة ونحن نذهب لكل مستقبل بجسد امرأة مجهولة قطعاً إزباً إزباً بواسطة حلم للشخّذ دونما خوف من اليقظة؟ [حزقات الوجود، 1938]

يكون صعباً أحياناً أن نتملك حش الانتباه..

ولو داخل بيوتنا يكون صعباً أحياناً أن نتملك حش الانتباه. ترك صديق عزيز جداً نفسه هكذا يباغت بالمرأيا. نقرأ على بابه: «لا زيارات قبل حلول الربيع». عذابه اليم لكونه يمقت الأمور التي لا تكون في الحشبان. أشياء كثيرة تحدث في مثل هذه الحالة. ما أن تطيل المكوث قرب كائن أو شيء، ما أن نتتبع بالأصابع مُنحني نهد، انسحاق ضحكة، حتى تشير إليك انتقامات

إمكانات
[إلى أندري بروتون] ولم لا نلتقي فوق جسّير مُدّ فجأة بين كارثتين امرأة ذات عينين من رخص خيول قد تحكي لنا عن اسمها الأثيرة في عبوره من هوة مكسوة بقماشات سوداء؟ ولم لا ننظّم أوقات غروب هائلة من وفرات ملونة في مشهد الأفق المفقّر دوماً؟

ولم لا ننظّم أوقات غروب هائلة من وفرات ذات فرج من راديوم قد تتحدّث مع المناظر وتخرقها عند كلّ عناق وقد تبقى وحيدة في وضوح يبعث على الدوار؟ ولم لا نخلص جملة ما لا يخص من المرأيا المسمرة لرأس سرير الأرض؟ ولم لا نخلع الحياة قابلة للإيواء؟ ولم لا نهجر الشبهوات المعتادة والأقدار التي عيشت بما فيه